الشاعر ذو الرمة، وديوانه

[1]سليمان أولاليكن يوسف إيان*
[1]مؤسسة جامعة ماليزيا ترينغنو (UMT) (ماليزيا)

Poet Dhu'l-Rumah and his Diiwan

[1] SULAIMAN OLALEKAN YUSUF IYAN *
[1] https://orcid.org/0009-0009-4856-1492
[1] University of Malaysia, Terengganu (UMT) (Malaysia), p5527@pps.umt.edu.my

تاريخ الاستلام: 18 / 02 /2024 تاريخ القبول: 17 / 03 / 2024 تاريخ النشر: 01 / 06 / 2024

الملخص:

سيُلْقَى الضوء على شاعرنا ذي الرّمّة في هذه الدراسة تعريفا به وديوانه؛ ليكون فائدة الخبر لمن جهل به، ويكون لازم الفائدة لمن علم به، بل الأقرب أن الأخير سيستفيد فوائد أخرى من جوانب الدراسة ولو بقدر يسير، وذلك من حيث التعريف بحياته وصفاته وشخصيته وقصته مع محبوبتيْهِ: مية، وخرقاء، وكيف كانت وفاته. ثم التطرّق إلى إلقاء الضوء على ديوانه ومكانته بين الدواوين الشعرية العربية.

وتفترض الدراسة تساؤلات، منها: مَنِ الشاعر ذو الرمة؟ وأين وقعت طبقته بين طبقات الشعراء الأموية؟ ما الأغراض الشعرية التي تبحّر فيها الشاعر أكثر؟ وما منزلة ديوانه بين الدواوين الشعرية؟

وتكمن إشكالية الدراسة في قلة المنشورات التي قامت بوصف شخصية هذا الشاعر الجليل، وديوانه.

وقد حاولت الدراسة أن تنتهج في رصد معلوماتها المنهج الوصفي الاستقرائي.

كلمات مفتاحية: شخصية الشاعر.، التلقيب.، الموهبة الشعرية.، المناقب.، مقام الديوان.

Abstract:

In this study, we will shed light on our poet Dhul Rumah in order to introduce him and his diwan; to be useful for those who do not know him, and to be necessary for those who know him, but it is likely that the latter will benefit from other aspects of the study, even in a small amount, in terms of introducing his life, qualities, personality, and his story with his two lovers: Mayyah and Khar'qaa, and how he died Then the study will shed light on his diwan and its place among the Arabic poetry books. The study posits questions, including: Who is the poet Dhul-Rumah? Where did his class fall among the classes of Umayyad poets? What poetic purposes did the poet explore most? What is the status of his collection of poems? The problem of the study lies in the lack of publications that described the personality of this great poet and his collections.

The study attempted to adopt a descriptive, inductive approach in monitoring its information.

Keywords: The poet's personality; Nickname; Poetic talent; Virtues, Diiwan position.

* المؤلف المرسل.

*Corresponding author.

مقدمة:

المعلوم في التاريخ العربي أن العصر الأموي هو الذي يلي العصر الإسلامي مباشرة، وقد تطوّر الشعر تطوّرا باهرا، وحاول شعراء هذا العصر أن ينتجوا أشعارا فائقة على ما كانت عليه في الإسلامي، وحوّلوا جوانب ضعفها إلى قوة ومما لا يخفى أن مثل هذا الشاعر الجليل المشهور بموهبته الشعرية بين أقرانه الشعراء في العصر الأموي ومن بعدهم، لا بدّ من أن يكون له مواقف طريفة –إيجابية أو سلبية- في حياته الشخصية بل لا بد أن يكون له مناقب ومعائب عند الأدباء متقدّميهم ومعاصريهم، ويُعدّ من فحول شعراء الطبقة الثانية الأمويّين، وقد قيل: إن الشعر بُدئ بإمرئ القيس وخُتِم بذي الرمة؛ وذلك لموهبته الشعرية وملكته اللغوية وحسن استخدامها في أشعاره، واقتداره على تناول أبراز الأغراض الشعرية حينذاك.

وكلّ هذه الأمور والقضايا المشار إليها في شخصية الشاعر، هي التي يسعى إليها الباحث لسرد تفاصيلها في هذه الدراسة المتواضعة.

وتبرز أهمية الدراسة في كون ديوان هذا الشاعر حوى شتًى وأنواعا من القضايا اللغوية كلها، حيث يستطيع أي باحث ينتمي إلى اللغة العربية وآدابها أن يستقي شواهد كثيرة من الديوان ويستشهد بها في بحثه المعجميّ أو النحويّ أو الصرفيّ أو البلاغيّ أو الأدبيّ، حتى اللسانيّ، والدلاليّ؛ وقد بلغ عدد أبيات الديوان ثلاثة آلاف ومائتين وخمسة وثمانين بيت تقريبا (بيت 3،285)، وقد قيل: إن الديوان حوى ثلث اللغة مما يدل على مكانة الشاعر الشعرية والعلمية.

كما تبرز أهمية مشكلة البحث في أن يغطّي الباحث معلومات الشاعر تغطية شاملة الجوانب التي قد يجهلها بعض الطلبة المتأخرين المتخصصين في الأدب العربي القديم، وكيف كانت منزلة ديوانه؛ إشعارا وإعلاما بأنه يستحقّ النشر.

وقد تضمنّت الدراسة النقاط التالية: التعريف الاسمي والنسبي للشاعر مع قصة محبوبتيّه، ويليه آراء العلماء القدامى في الشاعر الإيجابية والسلبية، بعدها: آراء المعاصرين، ويليه ذلك شخصيته، ووفاته، ويليه مكانة ديوانه، ثم الخاتمة.

المبحث الأول

الشاعر ذو الرمة

المطلب الأول: اسمه، كنيته، لقبه، ولادته، وإخوته:

هو غيلان بن عقبة بن بُهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة بن مِلكان بن عديّ بن عبد مناة ابن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ويُكنَّى أبا الحارث، ويُلقّب بذي الرُّمة [1]. ولد سنة سبع وسبعين هجرية (77هـ)، في موضع (قسا) بالدهناء، والشاعر نفسه يشير إلى ذلك في بعض أبياته، منها قوله [2]:

أولئك أشباهُ القِلاص التي طوتْ = بنا البُعدَ من نَعْفَيْ قسا فالمضاجع

وقوله [3]:

ولكنّني أقبلتُ من جانبيْ قسا = أزور امرءً محضا نجيباً يمانياً

المطلب الثاني: إخوته:

كان لذي الرمة إخوة: هشام، وأوفى، ومسعود. فمات أوفى، ثم مات بعده ذو الرمة، فقال مسعود يرثيهما:

تعزّيتُ عن أوفى بغيلان بعده = عزاء وجفنُ العين ريّان مُتْرَعُ

ولم تُنسِني أوفى المصيبات بعده = ولكنَّ نَكْءَ القَرْح بالقرح أوجعُ [4].

وكان مسعود يلوم أخاه ذا الرمة على بكائه الطلول[5]، حتى قال فيه ذو الرمة[6]:

عشيّة مسعودٌ يقول وقد جرى = على لحيتي من واكف الدمع قاطرُ

أفي الدار تبكي إذ بكيتَ صبابة = وأنت امرؤ قد حلّمتْك العشائرُ

يستطيع الناظر في أخ ذي الرمة هذا (مسعود) أنه أيضا شاعر متمكّن. وينبئ ذلك على أن الشاعر ذا الرمة من بيت العلم، أو نقول: ليس ذو الرمة الشاعر الوحيد في أسرته، وإنما ذاع صيته في العصر الأموي أكثر من بقية إخوته.

المطلب الثالث: سبب تلقيبه بذي الرمة:

قيل: لقوله حين يصف وتداً [7]:

وغيرَ مرضوخ القفا مَوْتُود = أَشْعَثَ باقي رُمّة التقليد[8].

يدلّ هذا البيت على أن الشاعر يعرف اللغة بسلاسة، وكيفية استخدامها ووضعها فيما يناسبها من البيت الشعري.

والرّمة -بضم الراء- الحبل البالي، وبكسرها العظم البالي [9].

وقيل: سمّي به؛ لأنه خشي عليه من المسّ، فأتى به رجل من الحيّ فكتب له معاذة علّقت في عنقه، وشُدّت بحبل[10].

وقيل: سمته بذلك خرقاء التي يذكرها في شعره، وذلك أنه رآها في جوار على سنّها فأعجبتْه وأدام الالتفات إليها، ثم قال لها: يا جارية اخْرُزي لي هذه القربة. فعلمتْ مراده فقالت له: إنّي خرقاء، فولّى وفي يده قطعة حبل بالٍ فنادتْه: يا ذا الرّمة إن كنت خرقاء، فجاريتي صناع فاذْهبْ إليها، فمضى عليه ذو الرمة، وسماها في شعره خرقاء، فمضت عليها[11].

المطلب الرابع: قصته مع ميّة:

قال أبو سَوّار الغنوي: رأيت ميّة وإذا معها بنون لها صغار، فقلت: صفها لي، فقال: مسنونة الوجه، طويلة الخدّ، شماء الأنف، عليها وسم جمال. فقالت: ما تلقّيتُ بأحد من بنيّ هؤلاء إلا في الإبل، قلت: أ فكانت تنشدك شيئا مما قال فيها ذو الرّمة؟ قال: نعم، كانت تسُحُّ سحّا ما رأى أبوك مثله. ومكثت مية زمانا لا ترى ذا الرمة وتسمع شعره، فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة يوم تراه، فلما رأته رأتْ رجلا دميما أسود، وكانت من أجمل الناس. فقالت: واسوْأتاه! وابُؤساه! واضيعة بدنتاه! فقال ذو الرّمة:

على وجه ميّ مَسْحة من ملاحة = وتحت الثياب الشينُ لو كان باديا

ألم تر أن الماء يَخْبُثُ طعمُه = وإن كان لون الماء أبيض صافيا

فيا ضيعة الشعر الذي لجّ فانقضى = بميّ ولم أملكْ ضلال فُؤاديا[12].

فكشفتْ عن جسدها، وقالت: أ شينًا ترى، لا أمّ لك؟! وقالت له: قد رأيت ما تحت الثياب، فلم يبق إلا أن أقول لك: هلُمّ فذُقْ ما وراءه، فوالله لاذقْتَ ذلك أبدا[13].

ويروى أن ذا الرمة لم ير مية قط إلا في بثرقُع، فأحبّ أن ينظر إلى وجهها فقال:

جزى الله البراقع من ثياب = عن الفتيان شرّا ما بقينا

يُوارين الملاح فلا تراها = ويُخفَيْن القباحَ فيزدهينا

فنزعتْ البرقع عن وجهها، وكانت باهرة الحسن، فلما رآها مسفرة قال:

على وجه ميّ مسحة من ملاحة = وتحت الثياب العارُ لو كان باديا

فنزعتْ ثيابها وقامتْ عريانة، فقال:

ألم تر أن الماء يخبث طعمه = وإن كان لون الماء أبيض صافيا

فقالت له: أ تحبّ أن تذوق طعمه؟ قال: إي والله، فقالت له: تذوق الموت قبل أن تذوقه، والله أعلم[14].

ثم صلح الأمر بينهما، فعادا لما كانا من حبّهما [15].

وبالنظر العميق إلى هذه الروايات المذكورة في قصته مع مية، يستطيع الباحث هنا القول بإن الشاعر أجاد غرض الهجاء أيضا بكل سهولة دون تكلّف، وليس كما يظن البعض بأنه يميل إلى غرض الغزل فحسب. وإن كان ذو الرمة في هذه الشواهد المذكورة غير قاصد الهجاء الحقيقي، بل ينوي بذلك الخداع والحيلة حتى يتسنّى له مبتغاه في محبوبته (مية)، وأدّى ذلك إلى أن خلعت ميّة ثيابها كأنه سحرها بلسانه الشعري.

المطلب الخامس: قصته مع خرقاء:

وكان يُشبِّب بخرقاء، وهي من بني البَكّاء بن عامر بن صعصعة. وسبب تشبيبه بها أنه مرّ في سفر ببعض البوادي، فإذا خرقاء خارجة من خباء لها، فنظر إليها فوقعتْ في قلبه، فخرّق أدواته ودنا منها يستطعم كلامها، فقال: إني رجلٌ على ظهر سفرٍ، وقد تخرّقتْ إدواتي فأصْلحيها لي، فقالت: والله إني ما أحسن العمل، وإني لخرقاء، والخرقاء: التي لا تعمل بيدها شيئا لكرامتها على أهلها، فشبّب بها وسماها خرقاء [16].

ومما يدل على تصديق تشبيبه بها وكثرة شعره فيها، قول المفضل الضبي: كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججتُ، فقال لي يوما: هل لك أن أريك خرقاء صاحبة ذي الرمة؟ فقلت: إن فعلتَ فقد بررْتني، فتوجّهنا جميعا نريدها، فعدل بي عن الطريق بقدر ميلٍ، ثم أتينا أبيات شَعْرٍ، فاستفتح بيتا ففُتِح له وخرجتْ علينا امرأة طويلة حُسّانة بها فَوَهٌ، فسلّمتْ وجلستْ، فتحادثْنا ساعة ثم قالت لي: هل حججتَ قط؟ قلت غيرَ مرّة، قالت: فما منعك من زيارتي؟ أما علمتَ أنّي منسكٌ من مناسك الحج؟ قلت: كيف ذاك؟ قالت: أما سمعتَ قول عمّك ذي الرمة:

تمام الحجّ أن تقف المطايا = على خرقاء واضعةِ اللثام! [17].

يؤكّد الباحث هنا على أن الشاعر ذا الرمة –بكل صراحة- في قمة عالية من حيث القول في غرض الغزل والتشبّب، وذلك مستخرج في البيت الذي ذكرت خرقاء بأن ذا الرمة هو قائله: "تمام الحج أن تقف المطايا..." ولولا براعته في هذا الغرض لما جعل المرور بامرأة جميلة من تتمات مناسك الحجّ الذي هو ركن خامس من أركان الإسلام. وهذا البيت يطأطأ القارئ رأسه ويضحك منه كلّ مَن فهم اللغة العربية.

المطلب السادس: صفاته:

كان ذو الرمة مدور الوجه، حسن الشعر، أقنى، أنزع، خفيف العارضين، أكحل، حسن الضحك، مفوّها، إذا كلّمك كلمك أبلغ الناس، يضع لسانه حيث يشاء[18].

وتشهد هذه العبارة :" مفوّها إذا كلمك أبلغ..." على صدق ما قد ذكر الباحث في قصته مع محبوبتيْه.

وقيل: إنه كان قصيرا، شديد القصر، نحيلا، أسود، أو يضرب لونه إلى السواد، دميما، قبيحا، مدوّر الوجه، قد برز كتفاه فوق صدره، وكذلك كان جعد الشَّعر أنزعَ (خفيف الشعر من جانبي الرأس)، على أنه كان فطنا، بصيرا بالأمور [19].

المبحث الثاني

آراء العلماء-القدماء والمعاصرين- في مكانة ذي الرمة وشخصيته ووفاته

كان ذو الرمة من الشعراء الذين وردت فيهم آراء كثيرة تأخذ منحى مدحيا حينا، وحينا آخر تأخذ منحى انتقاديا، وعلى الرغم أن ذا الرمة لم يكن له شهرة ذائعة في العصر الأموي كما لجرير والفرزدق والأخطل، فإن ذلك لا ينحطّ من منزلته الكبيرة بين هؤلاء الشعراء، ولا يسحب كونه فحلا من فحول الشعراء في ذلك العصر، وقول شاعر كجرير والفرزدق فيه يكفي شهادة على ذلك، حتى وقد ذُكر أن شعراء عصره حسدوه لحداثة سنّه ولموهبته الشعرية. والآراء فيه ما يأتي:

المطلب الأول: المادحون والمنتقدون شعره[20]:

- ابن سلام

فقد وضعه ابن سلام في طبقاته مع شعراء الطبقة الثانية الإسلامية، والذين هم: البعيث، والقطامي، وكثير، وذو الرمة، ويدل هذا الترتيب على فحولته. وقال عنه: (كان ذو الرمة من جرير والفرزدق بمنزلة قتادة من الحسن وابن سيرين، كان يروى عنهما وعن الصحابة، وكذلك ذو الرمة هو دونهما ويساويهما في بعض شعره[21])، وقال أيضا: (كان علماؤنا يقولون: أحسن أهل الجاهلية تشبيها امرؤ القيس، وأحسن أهل الإسلام تشبيها ذو الرمة[22]). وانتقده ابن سلام بقوله: " كان ذو الرمة راوية الراعي، ولم يكن له حظ في الهجاء، كان مغلّبا[23] ".

-الأصمعي

قال: "ذو الرمة حجة؛ لأنه بدويّ، وليس يشبه شعره شعر العرب[24] ". وقال أيضا: " كان ذو الرمة أشعر الناس إذا شبه ولم يكن بالمغلق[25] ".

وقوله: (لم يكن بالمغلق)، يدل على أنه انتقد ذا الرمة في جوانب غير التشبيه.

وقال أيضا: إن شعر ذي الرمة حلوٌ أوّل ما نسمعه، فإذا كثر إنشاده ضَعُف، ولم يكن له حسن.. [26].

-أبو عمرو بن العلاء

قال: " إن الشعر فتح بامرئ القيس وختم بذي الرمة، والرجز برؤبة العجاج[27] ".

- حماد الراوية

قال: " أحسن أهل الجاهلية تشبيها امرؤ القيس، وذو الرمة أحسن أهل الإسلام تشبيها، وما أخّر القوم ذكره إلا لحداثة سنّه، وأنهم حسدوه[28] ". وقال أيضا: " قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم أر أفصح ولا أعلم بغريب منه[29] ".

- الفرزدق

وقد سأله ذو الرمة يوما، ما لي لا ألحق بكم معاشر الفحول؟ فقال له الفرزدق: لتجافيك عن المدح والهجاء، واقتصارك على الرسوم والديار[30].

- جرير

قال: " لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته:

ما بال عينك منها الماء ينسكب كان أشعر الناس[31] ".

واعترف أيضا قائلا: "قَدِر من ظريف الشعر وغريبه وحسَنِه على ما لم يقدر عليه أحد[32] "وقدحه جرير، حين سئل عن شعره بقوله: " بعر ظباء، ونقط عروس، يضمحلّ عن قليل[33] ". وهكذا قال أبو عمرو بن العلاء مثل جرير[34] ".

- الكميت

قال حين سمع قوله:

أ عادل قد أكثرتِ من قول قائل = وعيب على ذي الودّ لوم العواذل

" هذا والله ملهم، وما علم بدويٌّ بدقائق الفطنة وذخائر كنز العقل المعد لذوي الألباب! أحسن ثم أحسن[35] ".

وقال أيضا لما أنشده قوله في هذه القصيدة:

دعاني وما داعي الهوى من بلادها = إذا ما نأت خرقاء عنّي بغافل

" لله بلاد هذا الغلام! وما أحسن قوله! وما أجود وصفه! ولقد شفع البيت الأول بمثله في جودة الفهم والفطنة، وقال: قول مستسلم[36]".

- البَطِين

قال: أجمع العلماء بالشعر على أن الشعر وُضِع على أربعة أركان: مدح رافع، أو هجاء واضع، أو تشبيه مصيب، أو فخر سامق؛ وهذا كله مجموع في جرير والفرزدق والأخطل؛ فأما ذو الرّمة فما أحسن قطّ أن يمدح، ولا أحسن أن يهجو، ولا أحسن أن يفخر؛ يقع في هذا كله دُونًا؛ وإنما يُحسن التشبيه، فهو رُبع شاعر[37].

- الجرجاني

قال: " إذا أردت أن تعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب، وعظم غنائه في تحسين الشعر، فتصفّح شعر جرير وذي الرمة في القدماء، والبحتريّ في المتأخرين[38] "

- ابن خلدون

قال: " اعلمْ أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطا أولها الحفظ من نسجه حتى تنشأ ملكة ينسج على منوالها، ويتخيّر المحفوظ من الحر النقي الكثير الأساليب، وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الإسلاميين، مثل ابن أبي ربيعة، وكثيّر، وذي الرمة، وجرير... [39] ".

المطلب الثاني: آراء المعاصرين:

- يقول الدكتور طه حسين: " ذو الرمة شاعر إسلامي، ولكن روح شعره جاهلية خالصة، ولعله أكبر شعراء الوصف في العصر المتقدم كله [40] ".

- يقول الدكتور شوقي ضيف: " هو أكبر شاعر عربي يتغنى بالصحراء العربية [41] ".

أما الدكتور يوسف خليف، فيقول: " وفي ظني أن ذا الرمة أهم شاعر في العصر الأموي، فهم رسالة الشعر فهما صحيحا لم يفسده عليه صخب المجتمع الأدبي من حوله، فلم ينحرف عنها. وهو أيضا أهم شاعر في هذا العصر حمل أمانة الكلمة في صدق وإخلاص، فلم يخنها حتى في الموضوعات التي أفطرته الحياة إلى مجاراة عصره فيها، ظل هو هو الشاعر الفنان الأصيل الذي يقدر للشعر رسالته، وللكلمة قداستها[42] ".

ومما يدل على علوّ مكانة شاعرنا، الكتب العديدة التي ألّفتْ في أخباره، مثل كتاب هارون بن محمد الزيّات، وكتاب اليزيدي، وكتاب إسحق بن إبراهيم الموصلي، وكتاب آخر مثله لحماد بن إسحق، وآخر بعنوان " كتاب ذي الرمة وميّ" غفل عن اسم صاحبه [43].

وعلى هذا، فمكانة الشاعر ذي الرمة مرموقة وعالية بين الشعراء، وذلك لوجود غالبية الآراء التي تمدح الشاعر، وإن وجد بجانب تلك الآراء بعض القدائح، وهذا هو الأصل في كل بشَرٍ، يُمدَح لصناعته وقد يُذَمّ أو يُقدَح فيه.

المطلب الثالث: شخصيته:

ومن خلال ما سطرناه وسجّلناه عن شاعرنا ذي الرمة سالفا، يمكننا قول شيء عن شخصيته، وهو أنه فصيح، يخطّ ويقرأ الخطّ، مع أن ذلك كان عيبا في البادية. وكان رصينا عفيفا تقيّا؛ ثم إنه كان يعلّم القراءة والكتابة في البادية [44].

كما أنه متميّز بالذكاء الشديد، والفطنة، وسرعة البديهة وحسن تدبّر للأمور، ويدل على ذلك قول أبي عمرو بن العلاء له: عمك الراعي أحسن منك وصفا، حيث يقول:

فلا تعجل المرء قبل الورو = ك وهْي بركبته أبصر

وهي إذا قام في غرزها = كمثل السفينة أو أوقر

وتدلّ تزكية هذا العلامة الكبير -النحوي، أحد القرّاء السبعة وأعلم الناس بالقرآن الكريم في عصره- إياه على أن الشاعر ذا الرمة شاعر موهوب بكل ما تحمله كلمة الموهبة.

فقال ذو الرمة: وصف ذلك-أي الراعي- ناقة مَلِك، وأنا أصف ناقة سوقة[35]. وهو قوله:

تصغي إذا شدّها بالرحل جانحةً =حتى إذا ما استوى في غرْزها تثبُ
وثْبَ المسحّج من عاناتٍ معقُلةٍ = كأنه مُستبان الشكّ أو جَنِبُ

وكانت موهبته الشعرية فطرة ولا يتصنع قول الشعر، وقد ذُكِر أنه قال: " قلت: *ما بال عينك منها الماء ينسكب*، بيتا واحدا ثم أُرْتج عليّ، فمكثت حولا لا أضيف إلى هذا البيت بيتا واحدا، حتى قدمت إصبهان فحممت بها حمى شديدة، فهديتُ لهذه القصيدة، فتساتلت عليّ قوافيها وردت عليّ الواحدة منها بعد الأخرى، فحفظت ما حفظت منها، وذهب منها[36]".

وكان مسلما متديّنا كما ظهر ذلك في بعض قصائده، ومنها قوله في قيامه بفريضة الحج [37]:

أرى ناقتي عند المُحَصَّب شاقَها = رواحُ اليماني والهديلُ المرجّعُ[38].

ومما يدل على تديّنه وورعه، أنه كان إذا فرغ من إنشاد شعره يخاطب لسانه قائلا: والله لأكسفنَّك بشيء ليس في حسابك: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر[39].

وكما يبدو أن ذا الرمة متواضع في أقواله، ويُلاحَظ ذلك في وصفه نفسه قائلا: "شعري ما ساعدني فيه القول، ومنه ما أجهدت نفسي فيه، ومنه ما جننت فيه جنونا، فأما الذي طاوعني فيه القول، فقولي:

خليلي عوجا في صدور الرواحل = بجمهور حُزْوى فابْكيا في المنازل

وأما ما أجهدت نفسي فيه، فقولي:

أأن توسّمت من خرقاء منزلة = ماء الصبابة من عينيك مسجومُ

وأما الذي جننت فيه جنونا، فقولي:

ما بال عينك منها الماء ينسكب = كأنه من كُلَى مفريّةٍ سربُ [39] "

ويضاف إلى جانب تواضعه هذا، اعترافه بما ليس له من الشعر، ويلاحظ ذلك في حكاية أبي يحيى الضبي، عما حدث بينه وبين الفرزدق، حيث قال ذو الرمة: لقد قلت أبياتا إن لها لعروضا، وإن لها لمرادا ومعنًى بعيدا. قال الفرزدق: وما قلتَ؟ قال قلتُ:

أ حين أعاذت بي تميم نساءَها = وجُرِّدتُ تجريد اليماني من الغمد

فقال له الفرزدق: لا تعودنَّ فيها، فأنا أحقّ بها منك! قال: والله لا أعود فيها، ولا أنشدها أبدا إلا لك[40].

فكلّ هذا مما يدل على أن تديّنه بالدين الإسلامي جعله يذكر الله بعد إنشاده الشعر، وجعله لا يُعجِب بنفسه، ولا يدّعي ما ليس له من الشعر.

المطلب الرابع: وفاته:

كانت وفاته في أيام خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان سنة سبع عشرة ومائة هجرية (117ه)، وكان عمره حانذاك أربعين سنة [41]، ودفن في كثبان (حزوى) في رمال الدهناء، وهو مضع يقال له (عَناق) [42].

المطلب الخامس: ديو انه:

الظاهر أن لديوان الشاعر ذي الرمة محلا كبيرا ومكانة عظيمة بين سائر الدواوين الشعرية القديمة، فاعتنى به الأدباء واللغويون درسا وتدريسا، وشرحا وتعليقا، وتمثلا واستشهادا؛ نظرًا لعلوّ مكانة صاحبه عند الأدباء والنقاد، كما لمحْنا-آنفا- إلى ذلك عند حديثنا عن آراء العلماء في مكانة الشاعر. ويضاف إليها بعض أقوال أخرى تشيد بمنزلة هذا الديوان، وهي:

ورد في كتاب (ديوان شعر ذي الرمة) [43]: "لم يكن الاهتمام بشعر ذي الرمة والاحتفال به مقصورا على الشرائح العليا من المجتمع والشرائح الدنيا منه، بل إنه كان محط اهتمام العلماء والشعراء أيضا، الذين رووه وحفظوه وتدارسوه، مثل دعبل الخزاعي، وأبي العلاء، والزمخشري، والبهاء زهير، والطاوي، وأبي تمام، وابن حريق- من المغاربة- وغيرهم، حتى قال ابن دحية

في ترجمة ابن زهر الأندلسي: وكان شيخنا، الوزير أبو بكر-رحمه الله- بمكان من اللغة مكين... كان يحفظ شعر ذي الرمة، وهو ثلث لغة العرب[44] ".

وفي الكتاب نفسه: "ونرى علماء اللغة قد اهتموا بشعره، وأقدم الفطاحل من المتمكّنين من معاني مفرداتها على شرح ديوانه، مثلما فعل المعرّي، والأصمعيّ وأبو عمرو بن العلاء، وأبو العباس الأحول، وأبو عمرو إسحق بن مرار الشيباني، ومحمد بن حبيب، وأحمد بن حاتم الباهلي، والزبيديّ والجوهريّ وابن منظور، وابن سيده، وغيرهم وغيرهم... حتى ندر من نقلت إلينا المكتبة أثرا من آثار اهتمامه بأمر من أمور اللغة والأدب ولم يتعرّض، بمناسبة أو بأخرى، إلى شرح بيت من أبيات ذي الرمة، أو الكلام حول شعره، أو لم يقمْ بمداخلة من المداخلات على أمر يتعلق بآثاره[45] ".

وذُكر أن المغنّين أقبلوا على شعر ذي الرمة وافتتنوا به، حتى قال حماد بن إسحق بن إبراهيم الموصلي: ما غنّى جدّي في شعر أحد من الشعراء مثل ما غنّى في شعر ذي الرمة والعباس بن الأحنف، وليس المغنون فحسب بل تعدى الأمر إلى اهتمام الخلفاء والأمراء بشعر الشاعر ذي الرمة، وأشهرهم: الخليفة هارون الرشيد، وعبد الملك بن مروان [46].

وفي الكتاب نفسه أيضا: "ولست أدري ما إذا كنت أكون بعيدا عن الصواب، أو مغاليا، عندما أُخَمّن أن المعاجم القديمة للغة حوتْ أكبر نسبة من أبيات ذي الرمة في معرض استشهاداتها لمختلف الشعراء، وخاصة منهم من حدّدهم النقاد كحجة في العصور ما بعد الإسلام، للتدليل على صحة لفظٍ من الألفاظ أو تعبير من التعابير، أو في تناولها لشرح بعض المفردات التي تطلبت الدقة لشرحها[47].

وقد ذكر أن صاحب ((التاج)) أورد نحوا من (900) شاهد لذي الرمة، وأورد صاحب ((لسان العرب)) (1043) شاهدا من شعره، وهو ما يعادل ثلث ديوان ذي الرمة[48].

وكما ذكر أن الزمخشري عوّل عليه كثيراً في معجمه أساس البلاغة، فقلّ أن يورد مادة معجمية إلا استشهد لها ببعض نصوصه، وقد أورد اسمه في بعض أشعاره يقول:

تعالوا إلى أطلال مية نبكها = وسيرة غيلان بن عقبة نحكها [49].

وهذه الأرقام تبيّن محلّ هذا الديوان بين كتب اللغة، وهي أرقام غير يسيرة، كما أنها تؤكد مكانته المتميزة في شواهد النحاة، وشواهد أئمة اللغة والمعاجم.

ولو لم يوجد ما يصف مكانة هذا الديوان من الأقوال سوى القول بأنه -أي: الديوان- ثلث لغة العرب لكفى ذلك فخرا لديوان هذا الشاعر الجليل.

الخاتمة

لقد توصلت الدراسة إلى بعض نتائج، منها:

- إجماع النقاد على أن الشاعر ذا الرمة شاعر متعدّد الأغراض الشعرية غير أنه أجود في الغزل من غيره.
- علوّ مكانة الشاعر بين شعراء العصر الأموي؛ حيث أُلّفت كتب عديدة في أخباره، وغالبية الآراء المادحة له.
- شعرية الشاعر ذي الرمة الفطرية من غير تصنّع حتى عُدّ مع فحول شعراء الطبقة الثانية في العصر الأموي، وثناء جرير والفرزدق عليه كان خير دليل على فحوليته.

- تديّن الشاعر الإسلامي، والذي أدّى إلى تواضعه لمن سبقه من شعراء الطبقة الأولى، واعترافه بما ليس له من العمل الشعري.
- قيمة ديوان الشاعر العلمية وذلك لكثرة استشهاد كتب النحو واللغة والمعاجم منه.

قائمة المراجع:

1-الأصفهاني؛ (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد): ***الأغاني***، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، إشراف: محمد أبو 2-الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م.

3-الجرجاني؛ (عليّ بن عبد العزيز): ***الوساطة بين المتنبي وخصومه***، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعليّ محمد البجاوي.

4-الجمحي؛ (محمد بن سلام): ***طبقات فحول الشعراء***، شرح: محمود محمد شاكر.

5-ابن حزم الأندلسي؛ (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد): ***جمهرة أنساب العرب***، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط5، دار المعارف.

6- الحموي؛ (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله): ***معجم البلدان***، دار صادر-بيروت، 1977م.

ابن خلكان؛ (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر): ***وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان***، تحقيق: الدكتور إحسان عباس. دار صادر بيروت.

7- زهير فتح الله: ***ديوان شعر ذي الرمة***، دار صادر بيروت.

8-الشريشي؛ (أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي): ***شرح مقامات الحريري***، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية بيروت، 1413هـ-1992م.

9- شوقي ضيف: ***تاريخ الأدب العربي –العصر الإسلامي***، دار المعارف، الطبعة العشرون.

10- طه حسين، وآخرون: ***التوجيه الأدبي***، المطبعة الأميرية ببولاق، ط1، 1943م.

11- أبو عبيد البكري الأونبيّ، بمشاطرة عبد العزيز الميمني: ***سمط اللآلي***.

12- غيلان بن عقبة بن مسعود: ***ديوان ذي الرمة***، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط1، 1995م.

13- ابن قتيبة؛ (أبو محمد عبد الله بن مسلم): ***الشعر والشعراء***، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف.

14- القنّوجي؛ (صدّيق بن حسن): ***أبجد العلوم/الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم***، إعداد: عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق- 1978م.

15- الكومي؛ (محمد محمد): ***ذو الرمة حياته وشعره***، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية، 1400هـ-1980م.

16-المرزباني؛ (أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى): ***الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء***، تحقيق وتقديم: محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت، ط1: 1415هـ-1995م.

هوامش:

[1] ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة. ت: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ج1، ص 524، الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني. ت: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، إشراف: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م، ج18، ص1، وجمهرة أنساب العرب، ابن الحزم الأندلسي. ت: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، الطبعة 5، ص 200، وسمط اللآلي، أبو عبيد البكري الأوني بمشاطرة عبد العزيز الميمني، ج1، ص82، وشرح مقامات الحريري، أبو العباس الشريشي. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، 1413هـ-1992م، ج3، ص299، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ت: الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت، ج4، ص11

[2] ديوان الشاعر، القصيدة 48، حرف الروي: العين، البيت53، ص 325

[3] الديوان نفسه، القصيدة 87، حرف الروي: الياء، البيت32، ص540

[4] الشعر والشعراء، ج1، ص 528، ووفيات الأعيان، ج4، ص 15

[5] وفيات الأعيان، ج4، ص 15

[6] ديوان الشاعر، القصيدة 32، حرف الروي: الراء، البيت 3-4، ص 233

[7] الشعر والشعراء، ج1، ص 526، وشرح مقامات الحريري، ج3، ص 299، ووفيات الأعيان، ج4، ص 16

[8] ديوان الشاعر، القصيدة 22، حرف الروي: الدال، البيت7، ص 168

[9] وفيات الأعيان، ج4، ص 16

[10] شرح مقامات الحريري، ج3، ص 300

[11] شرح مقامات الحريري، ج3، ص 300

[12] الشعر والشعراء، ج1، ص 527، وشرح مقامات الحريري، ج3، ص 302، ووقيات الأعيان، ج4، ص 12

[13] شرح مقامات الحريري، ج3، ص 302

[14] وفيات الأعيان، ج4، ص 12-13

[15] شرح مقامات الحريري، ج3، ص 302

[16] الشعر والشعراء، ج1، ص 527، وشرح مقامات الحريري، ج3، ص 301، لكن برواية مختلفة، حيث جاءت على أنها هي مية نفسها وليست خرقاء. ووفيات الأعيان، ج4، ص 13

[17] الشعر والشعراء، ج1، ص 527-528، ووفيات الأعيان، ج4، ص 13-14

[18] الأغاني، ج18، ص 6

[19] مقدمة ديوان شعر ذي الرمة، زهير فتح الله، ص 27، دار صادر بيروت

[20] ينظر: ذو الرمة، حياته وشعره، د. محمد محمد الكومي، ص 500-506

[21] ينظر: طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود محمد شاكر، ج2، ص550-551

[22] ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص 549

[23] الموشح، المرزباني، ت: محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت، ط1: 1415هـ-1995م، ص 205

[24] المصدر نفسه، ص204

[25] الأغاني، ج18، ص10

[26] ينظر: الموشح، ص 205-206

[27] وفيات الأعيان، ج4، ص 16

[28] الأغاني، ج18، ص 9

[29] المصدر نفسه، ج18، ص9

[30] الموشح، ص207

[31] المصدر نفسه، ص206

[32] الأغاني، ج 7، ص56

[33] المصدر نفسه، ج18، ص14-15

[34] المصدر نفسه، ج18، ص14
[35] الأغاني، ج18، ص7
[36] المصدر نفسه، ج18، ص7
[37] الموشح، ص 206
[38] الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي الجرجاني، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم وعليّ محمد البجاوي، ص24-25
[39]ينظر: أبجد العلوم، (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم)، إعداد: عبد الجبار زكار، ج1، ص 297
[40] التوجيه الأدبي، طه حسين وآخرون، المطبعة الأميرية ببولاق، 1943م، ص182
[41] تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، طبعة6، مصر دار المعارف، ص391
[42] ذو الرمة، شاعر الحب والصحراء، ص10
[43] مقدمة ديوان شعر ذي الرمة، زهير فتح الله، ص49
[44] الأغاني، ج 16، ص121، والشعر والشعراء، ص525
[45] مقدمة ديوان شعر ذي الرمة، زهير فتح الله، ص28، وينظر: الموشح، ص209-211
[46] مقدمة ديوان شعر ذي الرمة، زهير فتح الله، ص26
[47] ينظر: المرجع نفسه، ص26
[48] ديوان الشاعر، القصيدة 46، البيت 17-22، ص308
[49] ينظر: مقدمة ديوان شعر ذي الرمة، زهير فتح الله، ص34
[50] ينظر: شرح مقامات الحريري، ج3، ص303
[51] ينظر: طبقات فحول الشعراء، ج2، ص554-555
[52] ينظر: الأغاني، ج18، ص36-40
[53] ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت دار صادر، 1977م، ج4، ص160
[54] للمؤلف زهير فتح الله
[55] مقدمة ديوان شعر ذي الرمة، زهير فتح الله، ص48
[56] المرجع نفسه، ص52
[57] ينظر: المرجع نفسه، ص47
[58] المرجع نفسه، ص53
[59] المرجع نفسه، ص55، و8مقدمة ديوان ذي الرمة، شرح التبريزي، ص10
[60] المرجع السابق، ص10.